



منذ أيام نبهت إلى خطأ في إحصائية التوزيع الطائفي في سوريا، فأشرت إلى أن إحصاء 1920 الذي حدد نسبة العلوين في سوريا بـ 8% كان قبل سلح لواء اسكندرон الذي وقع لاحقاً عام 1939، فلما سلح اللواء عن سوريا، ذهب إلى تركيا أكثر من نصف العلوين السوريين تبعاً لذلك، مما يحتم أن تكون نسبتهم قد نزلت إلى 4% على أعلى تقدير ... !!
 فعلقت هنالك الأخـت بـنـت حـلـب تـقول ، 4 % بـس حـكـمـونـا 4% نـهـبـونـا وـسـرـقـونـا وـشـبـعـوـنـا فـسـادـ بـهـالـبـلـدـ! وـينـ كـنـا؟ وـينـ كـانـوا هـالـ 87ـ بـالـمـيـةـ؟ ذـنـبـ مـنـ؟

فوعدها بالجواب في مقالة، وهي هذه، لأقول فيها:

إن كل ما جرى إنما جرى نتيجة لأخطاء تراكمية، بعضها من أجدادنا وبعضها من آبائنا وبعضها الآخر من أحفادهم، وأنا واحد منهم .. هذه الأجيال الثلاثة هي الأجيال التي توارثت ثقافة الرضا بالإقصاء والتهميش طلباً للراحة والسلامة في ظل الخمول .

لقد كنا نياً ... بعضنا كان نائماً في أحضان الجهل، وبعضنا كان نائماً في أحضان الغفلة، وبعضنا كان نائماً في أحضان الإثم والضلal .

أما النوم في أحضان الجهل، فقد جنينا منه، تخلفا عن ركب الحضارة والتقدم والمدنية، فلما زحف جيش الجنرال الفرنسي غورو ليحتل دمشق سنة 1920، تقدمه الدبابات والمصفحات، وتحلق فوق الطائرات ... خرجنا إلى مجابته بالبنادق والسيوف والخناجر، فكانت معركة ميسلون، التي استشهد فيها وزير الحرية يوسف العظمة ورفاقه الأحرار، ومرت جنائز الدبابات فوق أجسادهم، وسقطت دمشق، وكان لا بد لها من أن تسقط ..

وأما النوم في أحضان الغفلة، فقد أثمر لنا تخلفا في الفكر الديني وجعلنا نتعلق بالأولياء، ونتبارك بالدراويش والمجاذيب، ونشد الرحال إلى المزارات والأضرحة ذات القباب .. وحين يهاجمنا عدو في عقر دارنا، ينصحنا ساداتنا الصوفية بأن نقرأ عليه الصلاة الناربة، ونتلو الفاتحة عن روح الأولياء وقطب الغوث والأربعين المداركين . ونستفتح عليه بكتاب الحسن الحصين .

وأما الغفلة في الإثم والضلالة، فقد جعلتنا عبيدا لمصدري الفحش والرذيلة وعشاقا لحياة الترف والفسق والمجون . فانشغل المترفون من أبناء سوريا بفتح البارات والماراقص، وحسب هذا الغني أن يأتي ببعض المال، فيوضعه في كف الشيخ فلان أو الدرويش علان، ليغفر ذنبه، وتمحي عنه الخطايا والآثام ..

فعلة العلل يا سادة، وأصل أدباء الأمة الإسلامية هذا النوم الطويل، الذي فاق نومة أهل الكهف، وجعلنا أشد الأمم جهلا، وغفلة، وفسقا .

لقد علمونا، أن باب الاجتهاد مقفل منذ ألف ومائة عام، وفرضوا علينا أن نتمسك بفكر لا يتماشى وروح العصر، فصار المسلم بين خيارين، إما أن يتخلّى عن تعاليم دينه، وإما أن يتخلّى عن عصره وزمانه، ويتحقق في فكر عقيم قيل له إنه هو الدين وإن ضاعت بسببه دنياه .. وإنما أن يتمسك بأفكار وافدة إليه من الشرق والغرب في تحصيل دنياه، وإن ضاع بسببها الدين ..

وعلمونا أن الدنيا والآخرة ضرطتان، والقربُ من هذه يُعَكِّرُ صفو هذه. وأن على المسلم تقديم الآخرة على الأولى، وأن عليه إهمال الدنيا التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة .. وهذا ما جعل المسلمين في معزل عن أسباب القوة في الحياة، حتى صاروا أفق الشعوب وأضعفها وأجهلها بالحياة، ونسوا أن الله تعالى يقول (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) ونسوا أن نبينا الكريم يقول: (اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) .. ولكن التصور الخاطئ عن الإسلام صرفا نحن السوريين عن الدنيا، وجعلنا لا نعي بأسباب القوة فيها، فأهملنا الدخول في السلك العسكري، وهو ذراع الدولة الضارب، وتخلينا عن هذا المجال الحيوي لأبناء الأقليات من علوين ودروز وإسماعيليين .. وبقي المسلم والمسيحي بعيدا عن هذا المضمamar، وما كان هم المسلم والمسيحي إلا أن يكون ابنه طبيباً أو صيدلانياً أو محاماً ... بينما كان هُم أبناء الأقليات أن يكونوا ضباطاً في الجيش، وأن ياهوا بالنجوم اللامعة على أكتافهم، وأن يسيطروا بالقوة على كل مقدرات البلاد والعباد ..

إن الانحراف بين خطين يا سادة يبدأ صغيراً لا يتجاوز السنتيمترات، ولكنه لا يلبث أن يتسع، وكلما امتد الخطان المنفرجان زادت المسافة اتساعاً بينهما، إلى أن تبلغ مئات الأميال وآلاف الفراسخ .. لم يخطر ببال أحدادنا غفر الله لهم أن أمر الحكم سيؤول في يوم من الأيام لأمر العسكري، فقد كانوا يظنون أن الجيش للدفاع عن تراب الوطن وسلامة المواطنين .. وهذا انحراف في التصور أدى في النهاية إلى المأساة التي نمر بها اليوم ..

رحلت فرنسا عن سوريا عام 1946 فوقع بعد رحيلها ثلات انقلابات متتالية، في فترات متقاربة، أولها انقلاب حسني الزعيم، ثم انقلاب سامي الحناوي، ثم انقلاب أديب الشيشكلي ..

إن هذه الانقلابات المتتالية، هي التي نبهت العلوين إلى أن أقرب طريقة للوصول إلى الحكم هي القيام بانقلاب عسكري، فتوجهوا إلى الجيش، وانخرطوا في السلك العسكري أفراداً وضباطاً، وأبناء السنة عن هذا غافلون، بل مبتعدون عنه

باختيارهم، فالجيش مشقة لا يحتملها أبناء الدلال، حتى تحول الجيش بين عشية وضحاها إلى جيش طائفى، وصار حكراً على أبناء الأقليات، من علوين ودروز وإسماعيليين ... وقد كان أبناء هذه الأقليات يمضون في توجههم إلى الجيش وفق مخطط مدروس، وهدف يمشون باتجاهه مشياً حثيثاً، لذلك لما قامت الوحدة ما بين مصر وسوريا سنة 1958 لم يرحب بها أبناء الأقليات وإنما حاربوها، حتى أسقطوها بانقلاب الانفصال الذي دفعوا إليه عبد الكريم النحلاوي ليقوم به، ويكون في الواجهة، ويكونوا هم وراءه... سقطت الوحدة، ووقع الانفصال سنة 1961م، ولم يمض على هذا الانفصال سوى عام ونصف حتى قام أبناء الأقليات بانقلاب 1963م سموه ثورة 8 آذار لإعادة الوحدة ما بين مصر وسوريا، وهدفهم الحقيقي هو الوصول إلى السلطة، لذلك ما إن أطاحوا بحكومة الانفصال، حتى سارعوا إلى تسريح أغلب ضباط أبناء السنة من الجيش، وأولئك من قاموا بثورة 8 آذار...

ثم انقلب العلويون على شركائهم الدروز والإسماعيليين، فقاموا بتصفيتهم وطردهم وسجنهما، إلى أن انقلب أخيراً حافظ الأسد على أبناء طائفته، فاغتال اللواء محمد عمران في لبنان، وسجن صلاح جديد ولم يخرجه من السجن إلا إلى القبر .. واستأثر الأسد بالسلطة، وقدم لها ثمناً باهظاً، فقد تخلى لإسرائيل عن الجولان والقنيطرة في حرب صورية عام 1967م، ثم تخلى لهم عن مساحات أخرى من التراب السوري، في حرب 1973م فأعطاهم أربعين قرية و36 تلة من تلال حوران، فضمن بذلك الحكم لنفسه مدى الحياة، ولأبنائه بعد الممات...

وهكذا، تولد عن قضية عزوفنا عن الجيش، استيلاء حافظ الأسد وأبنائه على حكم سوريا لمدة 42 عاماً، وهذا نحن نحاول اجتناث بشار الأسد بأنهار من الدماء، وجبال من الأشلاء ... وما كان أغناناً عن هذه التضحيات، لو أثنا عرفنا أن الإسلام دين ودولة، دنيا وآخرة، مسجد وثكنة عسكرية...

المصدر: الثورة السورية ثورة العزة والكرامة

المصادر: